الافتتاحيّة

الكتاب المقدّس والقرآن
تواصل وتقاطع أم انفصال وانقطاع؟

رئيس التحرير

مقدّمة

تثير الرغبة النبيلة والواضحة في التحاور الدينيّ والإنسانيّ، والتلاقي الفكريّ والتحليليّ، بين العديد من المسيحيّين والمسلمين موجات متكرّرة من التفاؤل الذي يوفّر موجاتٍ مقابلةً من الشعور بالأمان والاطمئنان والسلام، لكن سرعان ما تتقلّص وتتراجع لتصبح صدًى خافتًا يتبدّد رويدًا رويدًا من الآذان والأذهان، والسبب في ذلك هو المحاورون الذين لا يرمون الشبكة إلى العمق، بل يكتفون بإبراز النقاط المشتركة والمتشابهة التي لا تثير أيّة حساسيّات، ولا تحرّك أيّة مشاعر سلبيّة، ولا تؤدّي إلى ردّات فعل قد تسبّب في وقْفِ ما يُدعى حوارًا.

إنّ مجرّد الكلام على حوار يعني بالفعل ذاته وجود فروقات، الأمر الذي يحتّم، ولهدف عملانيّ سليم، الاعترافَ بها، وأَخْذَها على محمل الجدّ، والدخولَ في كنهها، والتبصّرَ في معانيها، وتبيُّنَ أبعادها. من غير المفيد الاكتفاء بإظهار ما يجمع، والإعراض عمّا يفرّق. لذلك لا بدّ من استعراض بعض الإعلانات التي تتّصف بالرغبة الصادقة في الانفتاح على الآخَر، والتي تنطلق من إرادة حسنة ونوايا طيّبة، والتي، بالمقابل، لا تُقارِب الأمور العقائديّة، بل تتحاشاها، لأنّها، بنظر أصحاب هذه الرغبة وهذه الإرادة وهذه النوايا، ستؤدّي حتمًا إلى التباعد والتنافر بدلاً من التواصل والتقارب، وبالتالي يُفضّل تجنُّب الكلام عليها والمجادلة فيها.

على سبيل المثال، لا الحصر، نورد بعض الأمثلة الشائعة عن هذه الإعلانات:

١) هل إنّ ما يقرّب بين الديانات التوحيديّة وكُتُبِها المقدّسة هو أولى بالاهتمام ممّا يفرّق؟

بالطبع، يتّفق اليهود والمسيحيّون والمسلمون، أقلّه نظريًّا، على اعتبار الديانات اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة توحيديّة، لأنّ كتبها المقدّسة، العهدَين القديم والجديد والقرآن، تتضمّن الاعتراف بالله الواحد الأحد. لكن، مَن قال إنّ الكلام على النظرة المشتركة إلى التوحيد يعني بالفعل مفاهيمَ واحدةً حول الموضوع؟!! بالتأكيد هو ليس التوحيد ذاته، إذ إنّه في العهد الجديد

ثالوثيّ، وكذلك بالطبع في العقيدة المسيحيّة، وهو في القرآن وحدانيّ، وكذلك بالطبع في العقيدة الإسلاميّة. بالنسبة إلى المسيحيّين، لا تمسُّ عقيدةُ الثالوث الإيمانَ بإلهٍ واحد، بينما في نظر المسلمين، على العكس من ذلك، تشكّل عقيدة الثالوث اختلافًا جوهريًّا مع المسيحيّة التي تعترف بيسوع ربًّا وإلهًا.

إذًا، عندما يعلن الاثنان، المسيحيّة والإسلام، وعلى أساس المعطيّات الإنجيليّة، من جهة، والقرآنيّة، من جهة ثانية، أنْ لا إله إلاّ الله الواحد، فهذا لا يعني اعترافًا واحدًا؛ فالمسيحيّ الذي يعلن أنّ ديانته توحيديّة، لا يلغي اعترافه بأنّ الله الآب قد أرسل ابنه يسوع المسيح ليخلّص العالم، وأنّ الابن أرسل الروحَ القدس ليواكب الكنيسة في مسيرتها على مرّ العصور؛ والمسلم الذي يعلن أنّ ديانته توحيديّة لا يمكن أن يقبل بأيّ شريك لله في ألوهته الواحدة الوحيدة. بالتالي، ليس الجوهريُّ عند الفريقين هو ذاته.

٢) هل القرآن والإسلام هما في خطّ التواصل مع الديانتين اليهوديّة والمسيحيّة؟

ونطرح هنا السؤال: هل القرآن هو فعلاً على تواصل مع الوحي بمعناه البيبليّ؟

إنّ من يتصفّح القرآن يتبيّن وجود أسماء شخصيّات بيبليّة عدّة فيه، كآدم، ونوح، وإبراهيم، ويوسف، وموسى، ويسوع، ومريم، والحواريّين، وغيرهم. أضف إلى ذلك إيمان المسلمين، وانطلاقًا بالطبع من القرآن، بأنبياء الكتاب المقدّس، وبالملائكة. لكن ينبغي التوضيح فورًا أنّ اليهود والمسيحيّين والمسلمين يعطون تفاسير متمايزة الواحد عن الآخر للشخصيّات المشتركة عينها، كما أيضًا وعامّة للمعطيات التاريخيّة البيبليّة والقرآنيّة التي هي ظاهريًّا متشابهة، ولكنّ هذا التشابه، أو لِنَقُلْ هذا التواصل ما هو إلاّ ظاهريّ، لأنّ المضمون العقائديّ مختلف.

نعطي مثالاً على ذلك، اعتبار المسلمين ليسوع ولمريم أنّهما منهم ومن خاصّتهم، كونهما مذكورين في القرآن، لكنّ ما يتعلّق بجوهرهما، من وجهة نظر مسيحيّة، هو ليس على تواصل إطلاقًا، إلاّ جزئيًّا وبشكل محدود، بل على تمايُز واضح. لقد فسّر المسلمون ذكْر يسوع ومريم في القرآن بطريقة أبرزوا من خلالها الإسلام بأنّه على تواصل مع ما سبق ومع شخصيّات بيبليّة عديدة.

ولكن، هل هذا التواصل هو حقيقيّ؟

هل اليهوديّة والمسيحيّة هما ديانتان إسلاميّتان قبْل الحرْف، وبالتالي هما قرآنيّتان قبل القرآن؟

هناك فرق حقيقيّ وواقعيّ بين اليهوديّة والمسيحيّة، من جهة، والإسلام، من جهة ثانية؛ بين العهدين القديم والجديد، من جهة، والقرآن، من جهة ثانية. لا مفرّ لنا جميعًا من هذا التوضيح وهذا التمييز. باستطاعتنا الكلام بوضوح صريح عن يسوع ومريم بحسب العهد الجديد، وخاصّة الأناجيل، كما عن يسوع ومريم بحسب القرآن؛ وإذا لم نفعل فهناك الالتباس في المفاهيم، والفوضى في الآراء، وضياع الحقيقة، الأمر الذي ينسف أيّ حوار حقيقيّ وبنّاء.

هذا ما يسمح لنا بأن نؤكّد أنّ الإسلام، وبالرغم من بعض التشابه هنا وهناك بين العهدين القديم والجديد، من جهة، والقرآن، من جهة ثانية، بين الديانتين اليهوديّة والمسيحيّة، من جهة، والإسلام، من جهة ثانية، هو ليس على خطى الديانتَين السابقتَين، ولا على تواصل فعليّ معهما. والقرآن بالذات هو ليس على خطى الكتب المقدّسة اليهوديّة والمسيحيّة، ولا على تواصل فعليّ معهما.

٣) هل ندعُ إذًا الأمور العقائديّة لذوي الاختصاص وللكفوئين وللمتبحّرين؟

قد يكون الردّ على هذا السؤال بالإيجاب طبيعيًّا

وعقلانيًّا ومنطقيًّا؛ لكنّ هذا السؤال وأمثاله تفرض ذاتها في أيّ لقاء، بين يهود ومسيحيّين ومسلمين، بالتالي لا مجال لِتجنُّبها أو لِترْكِها دون معالجة.

عندما نتكلّم على ذوي الاختصاص، يتبادر إلى الذهن كمٌّ من التساؤلات، أهمّها هو التالي:

هل نجد بين المسلمين أخصّائيّين في العهد القديم أو الجديد، أو الاثنين معًا؟

هل هناك بين المسلمين أخصّائيّون في العقائد الدينيّة اليهوديّة أو المسيحيّة؟

قد يكون هناك أحدٌ ما، ولكنّ الأمر مُستبعدٌ إلى حدٍّ كبير.

بالمقابل نجد بين المسيحيّين العديد من المتخصّصين في الإسلام وفي القرآن، لا بل يُدرَّس القرآن والإسلام، ولو بشكل غير معمّق، في كلّيّات اللاهوت الخاصّة والحبريّة؛ أضف إلى ذلك وجود "معهد الدراسات العربيّة والإسلاميّة الحبريّ" التابع للكرسيّ الرسوليّ في روما، المتخصّص في الدراسات العربيّة والإسلاميّة؛ هذا ما لا نجد له مثيلاً عند المسلمين من أجل التخصّص في اليهوديّة أو المسيحيّة، ودراسة كتب هاتين الديانتين المقدّسة دراسة علميّة أكاديميّة معمّقة. بالطبع، نصادف من يستشهد من المسلمين بآيةٍ أو بنصّ من الكتب اليهوديّة أو المسيحيّة المقدّسة في دراسة أو مقال أو محاضرة، لكنّ الأمر يبقى جزئيًّا جدًّا ومجتزءًا إلى حدّ كبير.

إنّ معظم الأخصّائيّين في الإسلاميّات ليسوا لاهوتيّين، كما أنّ معظم اللاهوتيّين ليسوا أخصّائيّين في الإسلاميّات؛ لذلك تتطلّب دراسة العقائد الدينيّة الكفاءات العلميّة الجدّيّة. لذا، نعيد طرح السؤال:

هل يمكن السير باقتراح أو بمقولة ترك الأمور العقائديّة لذوي الاختصاص؟!

خاتمة

تبقى الرغبة الصادقة في تنشيط الحوار اليهوديّ–المسيحيّ–الإسلاميّ همًّا حقيقيًّا، كم نتمنّى أن ينطلق أوّلاً من توضيح الالتباسات والغموض وسوء الفهم، وأن يتركّز على درس النصوص البيبليّة والقرآنيّة وفق نهج علميّ عقلانيّ يؤدّي إلى المبتغى النبيل الذي يسعى إليه ذوو الإرادة الحسنة ليسير بطريقة فاعلة وبنّاءة وخيّرة!

هذا ما يرمي إليه طرح بعض النماذج من الأسئلة التي يشكّل الردّ عليها إسهامًا لا غنى عنه في رسم مسار كم نودّ أن نراه يوصلنا إلى ما فيه سعادة الإنسان وخيره وسلامه!